دور الصحابة والتابعين
في تأسيس
علم رجال الحديث

إعداد
دكتور
محمد مصطفى عبد الله
المدرس بقسم الحديث وعلومه
بكلية أصول الدين بالقاهرة

(٥٦ — حولية كلية أصول الدين)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين

نحمده سبحانه حمد الشاكرين ونتوب إليه توبة الأوابين الراجين عفوه إلى يوم الدين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من بلغ عن ربه وسالته إلى خلقه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن علم رجال الحديث يأتى فى مقدمة سائر العلوم ذات الشرف الوفيع، والقدر العظيم والوصف البالغ ، فيه يستطيع المحدث والفقيه والمفسر وكل من إشتغل بعلوم الكتاب والسنة أن يميز بين صحيح الحديث وسقيمه ، والروايات المقبوله من المردوده كلا يقوى دليله وتعلو حجته، وعلم رجال الحديث قد جاءت فيه التأليف على صنوف مختلفه وفنون متعددة تنم عن عظمة هذا العلم الواسع الذى حظى باهتمام الحفاظ والمحدثين فعكفوا على التصنيف والتأليف فيه ما بين مصنفات كبيرة وكتب صغيره ، وعرف هؤلاء بالجهابذة والحفاظ ، قيل لعبد الله بن المبارك[1] الإمام الكبير هذه الأحاديث الموضوعه فقال تعيش لها الجهابذه وإن بين أيدينا بحث يدور موضوعه حول دور الصحابة والتابعين فى تأسيس علم رجال الحديث ، ومن خلال معالجة هذا الموضوع نتناول المباحث التاليه :

١ — بين يدى البحث .

---

(١) ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم المقدمه ص ٢٧٣ و تاريخ بغداد للخطيب جـ ١٠ /١٥٢ ط دار الكتاب العربى — بيروت

٢ — مشروعية الكلام فى أحواله الرجال .

٣ — دور الصحابة فى تأسيس هذا العلم .

٤ — نماذج من تثبت الصحابه فى قبول المرويات .

٥ — توضيح حول نقد الصحابه لبعض المرويات .

٦ — ظروف نشأة هذا العلم فى عهد التابعين .

٧ — دور التابعين فى نقد الروايات والكلام فى أحوال الرجال

وهانحن نشرع بمشيئة الله تعالى فى عرض موضوع البحث راجين من الله تعالى أن يحظى بقبول القارئين من الاستاذه والباحثين وينفع به ويجعله فى ميزان حسناتنا يوم الدين .

بين يدى البحث

يتألف عنوان هذا البحث من اجزاء ثلاثة أرى من المناسب أن أوضح المراد من كل جزء من هذه الأجزاء التى تتضمن موضوعات ثلاثه لا بد من الوقوف عليها وبيان حقيقتها وهى :

١ — علم رجال الحديث .

٢ — الصحابة .

٣ — التابعون .

أولا : علم رجال الحديث :

هو ذلك العلم الذى يعرف به نقلة الحديث النبوى وحملة الآثار المشتمل على القواعد والمسائل التى توقفنا على أحوال رواه الحديث من حيث القبول والرد وأحوال الرواه تتضمن الإحاطه بمعرفة تواريخهم من حيث المواليد والوفيات وكذا الأسماء والكنى والألقاب والأنساب والوقوف على أوطانهم ورحلاتهم ودراسة المتفق والمفترق من الأسماء والمؤتلف والمختلف والمحكم والمتشابه ثم الوقوف على من عدل وجرح منهم وهو ما يعرف بعلم الجرح والتعديل وهو فى مقدمتها والغايه المرجوه التى يسعى إليها المحدث من وراء دراسة بقية مباحث علم الرجال فإن الهدف من دراسة الأسماء والألقاب والكنى والإختلاف فيها يوقفنا على حقيقة من إسمه كذا وهو ثقه كى لا يلتبس بمن يشابهه فى الاسم لكنه ضعيف وإطلاق كلمة رجال على هذا العلم لا يعنى إستبعاد النساء لكنه من باب التغليب الشائع لغويا .

وهذا العلم يتناول الكلام على راوى الحديث ، وما وراءه من حيث

توفر شروط القبول وأسباب الرد التى عرفها علماء هذا الفن، ومعنى قبوله الراوى الإعتبار بما روى الأخذ به[١] .

فهو يبحث فى حال راوى الحديث منذ مولده وإشتغاله بهذا العلم ورحلاته وشيوخه وتلاميذه وأقرانه وصفة ضبطه وعدالته وأمانته وغير ذلك إلى وفاته وقد تعددت مجالات هذا العلم وإتسعت مسائله وقضاياه بعد عصر الصحابة والتابعين وعلى رأس هذه القضايا علم الجرح والتعديل الذى يعتبر بمثابة الأساس الأول لعلوم الحديث جميعاً بصفة عامه وعلم الرجال بصفة خاصه لأنه السبيل إلى نقد الروايه فى قبولها اوردها كما يتناول دراسة رجال الإسناد الذين يشكلون سلسلته من حيث الترجمة لكل راو منهم على حدة إسمه ولقبه وكنيته ونسبته وشيوخه وتلاميذه ومولده ووفاته وذلك حتى لا يكون مجهول العين أو الحال ثم بيان أهليته للتحمل والأداء ويبحث هذا العلم أيضاً فى مفهوم العدالة والضبط وأوجه الشبه بين الراوى والشاهد وإكتشاف التدليس الذى يقع فى إسناد الحديث والبحث فى الصحابة وأوجه الصحبة والعلامات الدالة عليها وطبقات الرواه، وإسناد الحديث وأصح الأسانيد وأوهاها وألفاظ التعديل والتجريح وغير ذلك .

وقد ذكر الحاكم[٢] أن علوم الحديث تصل إلى إثنتين وخمسين نوعاً منها الإسناد وأنواع الحديث ومعرفة الصحابه والتابعين

---

(١) أنظر كتاب المختصر فى رحاب الأثر أ. د / عبد المنعم السيد نجم ص ٢١ وما بعدها . مطبعة السعادة بمصر

(٢) ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ٣ / ١٠٣٩ — تاريخ بغداد ج ٥ / ٤٧٣

والجرح والتعديل ومسائل أخرى[١] .

وأوصلها الحازمى[٢] إلى أنواع كثيرة تقوب من مائة نوع وكل نوع منها علم مستقل لو أنفق الطالب فيها عمره لما أدرك نهايته[٣] .

وجاء ابن الصلاح[٤] فألف كتابه علوم الحديث المشهور بمقدمة ابن الصلاح فأوصلها إلى خمسة وستين نوعاً مضيفاً أبواباً لم يذكرها الحاكم قال بعد أن عدد الأنواع الخمسة والستين وذلك آخرها وليس بآخر فإنه قابل للتنويع إلى مالا يحصى، إذ لا يحصى أحوال رواه الحديث وصفاتها ولا أحوال متون الحديث وصفاتها وما من حاله منها ولا صفة إلا وهى بصدد أن تفرد بالذكر وأهلها فإذا هى نوع على حياله[٥] .

وإن مجالات هذا العلم ومباحثه تتعدد وتجدد كلما تعمقت الدرايه

---

(١) كتاب معرفة علوم الحديث لأبى عبد الله الحاكم ص٩ طبع دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد — الركن — الهند

(٢) ترجمته فى ميزان الإعتدال للذهبى ١/ ١٨٤ ط دار المعرفه — بيروت

(٣) كتاب عجالة المبتدىء وفضالة المنتهى فى النسب ص ٣ مطبعة القدس

(٤) ترجمته فى العبر فى أخبار من غبر للذهبى ج ٣/ ٢٤٦ طبع دار الكتب العلميه بيروت الطبعه الأولى سنة ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م — وفيات الاعيان لابن خلكان ٣ / ٢٤٣ إلى ٢٤٥ طبع دار صادر — بيروت

(٥) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٠١

وغاص الباحثون فى فروعه وإجتهدوا فى استخراج قضاياه وحل مشاكله ومعضلاته .

وسوف يكون موضوع بحثنا مقتصراً على دور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم فى التأسيس المبدئى والنشأة الأولى لهذا العلم حسب ماتقتضيه ظروف هذا البحث المتواضع ، والله ولى التوفيق .

ثانياً : الصحابة

والصحابة من صحبه وهى المعاشرة والملازمة .

والصحابى فى اصطلاح المحدثين هو من لقى النبى ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام وهذا اللقاء إما أن يكون طويلا أو قصيراً ، ومن قلت روايته عن النبى ﷺ أو كثرت أو غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه فقط من غير أن يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى ، وينبغى فى تحديد ثبوت الصحبة لشخص أن يكون قد لقى النبى ﷺ وهو مؤمن حتى لو أسلم بعد ملاقته ﷺ فإنه لا يكون صحابياً ولا يعد صحابياً كذلك من لقيه قبل بعثته .

أمامن لقى النبى ﷺ وقد آمن به ثم إرتد والعياذ بالله فمات على ردته فليس من الصحابة فى شىء كعبد الله بن خطل الذى قتل وهو متعلق بأستار الكعبه ، وكربيعة بن أمية بن خلف .

وهذا التحديد لمعنى الصحبة هو المعتمد عند جمهور المحققين من أهل الحديث[1] .

ثم كيف تثبت هذه الصحبة ؟ تثبت بأمور منها تواتر ذلك كصحبة العشرة المبشرين بالجنة ، واتواتر ذلك فى القرآن كصحبة أبى بكر الصديق[2] ومنها الشهرة أو الاستفاضة .

---

(١) فتح المغيث للعراقى جـ ٤/٢٩ ، دار الكتب السلفية ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م

(٢) ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى جـ ١/٢

قول صحابى آخر معروف الصحبة يخبر بها صراحة كقوله فلان له صحبه ،

ومنها قول أحد التابعين بناء على قبول التزكية من واحد وهو الراجح وغيرها .

وهناك علامات تدل على هذه الصحبة .

منها أنه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر فى الفتوحات إلا من كان من أصحابه فأمراء الفتوحات كلهم صحابه كل من كان بمكة أو الطائف سنة عشر من الهجرة فقد أسلم وشهد حجة الوداع .

كل الأوس والخزرج فى عهد النبى ﷺ كانوا جميعاً مسلمين ولم يظهر الكفر من أحد منهم فى حياته[1] .

أما طبقات الصحابة :

أما طبقاتهم فمن العلماء من جعلهم طبقة واحدة لإستوائهم فى شرف صحبتهم لرسول الله ﷺ .

ومن العلماء من جعلهم طبقات حسب سابقتهم فى الإسلام وشهود المشاهد والغزوات مع الرسول ﷺ .

فقد قسمهم ابن سعد اثنتى عشرة طبقة :

الأولى : — السابقون الأولون من المهاجرين ، كأبى بكر

(١) تدريب الراوى للسيوطى ٢/٢١٢ ، ٢١٣ الطبعه الثانيه ، المكتبة العلميه بالمدينه .

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩/١٥٥ — الكاشف ٣ / ت ٤٩٣٩

وعمر[1] — وعثمان[2] وعلى[3] .

الثانية : — الذين بايعوا الرسول يوم دار الندوة عند إسلام عمر بن الخطاب .

الثالثة : — الذين هاجروا إلى الحبشة كحاطب بن عمرو وابن عبد شمس[4] .

الرابعة : — السابقون الأولون من الأنصار وهم أصحاب بيعه العقبة الأولى .

الخامسة : — أصحاب بيعة العقبة الثانية وغالبيتهم من الأنصار مثل جابر بن عبد الله[5] .

السادسة : — المهاجرون الذين أدركوا الرسول بقباء قبل دخول المدينه .

السابعة : — البدريون مثل سعد بن معاذ[6] .

(١) ترجمته فى التاريخ الكبير للبخارى ٦ / ت ١٩٥٢ والجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٦ / ت ٥٥٨

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧/١٢٤ ، الكاشف ٢ / ت ٣٧٧٧

(٣) ترجمته فى التاريخ الكبير ٦ / ت ٢٢٤٣ ، الجرح والتعديل ٦ / ت ١٠٥٥

(٤) ترجمته فى الاجابة لابن حجرت ١٥٣٨ ،وطبقات ابن سعد ٣/١١٤

(٥) ترجمته فى أسد الغابة ١/٢٥٦ لابن الأثير ، الاستيعاب لابن عبد البر ـ ١/٢١٩ ، الاجابة ، ٢/٢١٢

(٦) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣/٤٢٠ - طبقات ابن سعد ٣/٤٢٠ =

الثامنة : — من كانت هجرتهم فى زمن ما بين بدر والحديبية .

التاسعة : — أهل بيعة الرضوان مثل سلمة بن الأكوع[١] .

العاشرة : — الذين هاجروا بعد الحديبية إلى فتح مكة مثل خالد ابن الوليد[٢] .

الحادية عشر : — مسلمة الفتح وهم الذين أسلموا فى فتح مكة مثل أبى سفيان بن حرب[٣] .

الثانية عشر : — الصغار الذين شاهد الرسول ﷺ يوم الفتح أو حجة الوداع مثل عبدالله بن ثعلبة[٤] وغيره[٥] .

هذا وإن الفائدة التى تعود على الباحث من معرفة الصحابة والتابعين هى الوقوف على التمييز بين الأحاديث المرسلة والمتصلة

= التاريخ الكبير ٤ / ت ١٩٠٩ — الكاشف ١٨٦١/١ الجرح والتعديل ٤ / ت ٤١١

(١) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٣٦/٤ — التاريخ الكبير ح ٤ / ت ١٩٨٧ — الجرح والتعديل ٤ / ت ٧٢٦

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١١٢/٣ — طبقات ابن سعد ٢٥٢/٤ ، ٢٩٤/٧ — الجرح والتعديل ٢ / ت ١٦٠٧

(٣) صخر بن حرب توفى سنة ٣١ هـ — تهذيب التهذيب ٣٧٧/٤ — التاريخ الكبير ٤ / ت ٢٠٤٢ — الإصابة ت ٤٠٤٦

(٤) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٤٨/٥ — التاريخ الكبير ٥ / ت ٦٤ الجرح والتعديل ٥ / ٨٨

(٥) تدريب الراوى ح ٢١٦/٢

بالنسبة لمعرفة الصحابة والأحاديث المرسلة والمنقطعة بمعرفة التابعين وأتباعهم .

قال الحاكم أبو عبدالله :

ومن تبحر فى معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعى عن رسول الله يتوهمونه صحابياً ، وربما ردوا المسند عن صحابى يتوهمونه تابعياً[١] .

---

(١) تدريب الراوى ح ٢٠٦/٢

ثالثا : التابعون

التابعون جمع تابعى وهو عند أغلب علماء الحديث من لقى صحابياً فأكثر سواء كان مميزاً أو غير مميز ، وسمع أو لم يسمع فلو رآه لكان تابعياً لحصول شرف الرؤيا بالصحابى ولهذا عُد الأعمش سليمان بن مهران[١] من التابعين لأنه رأى أنس بن مالك ولم يسمع منه وهو آخر التابعين ولم يشترط طول الصحبة ، واشترط بعضهم أن تكون الصحبة فى سن الحفظ وإن كانت دونها فلا عبره بها[٢] .

وفيهم من وجد فى زمن النبى ﷺ وإن لم يره .

ومن إلتقى بكبار الصحابة ، ومن لم يجتمع إلا بصغارهم ، ومن طالت صحبته ، ومن حصل له مجرد لقـــاء قصير ، ومن تفوق فى العدالة أو العبادة ، ومن تصدى للإفتاء ومن لم يكن له امتياز ، وجعلهم مسلم ثلاث طبقات وأوصلهم الحاكم إلى خمس عشرة[٣] ، وكل من تحدثوا عنهم واعتمد رأيه وراعى فى ترتيبهم عنصر السبق الزمنى فكل من لقى من تقدم موته من الصحابة كان فى طبقة قبل الذى يليه ، وأهل الطبقة الأولى هم الذين لقوا الصحابة العشرة المبشرين بالجنة منهم قيس بن أبى حازم[٤] ،

---

(١) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٤ / ٢٠١ — التاريخ الكبير ٤ / ت ١٨٨٦ .

(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٤٢ .

(٣) فتح المغيث للسخاوى جـ ٣ / ١٤٢ مطبعة دار الكتب العلمية ١٤١٧ هـ — ١٩٩٦ بيروت .

(٤) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٨/ ٣٣٥ — الكاشف ٢ / ت ٤٦٦٢

الكوفى المتوفى سنة أربع وثمانين تقريباً ، وأبو وائل شقيق بن سلمة الأسدى[١] المتوفى سنة ٨٢ هـ ، وقيل إنه لم يصح لتابعى سماع من أحد العشرة المبشرين بالجنة إلا قيس بن أبى حازم[٢] .

وأن سماعه من عبد الرحمن بن عوف[٣] فيه مقال ، وقيل أنه لم يسمع من أحد منهم باستثناء سعد بن أبى وقاص[٤] .

ونفى السماع لاينافى الشهادة له بالأفضلية والعلم فهو أفضل التابعين وأنبلهم وأفقههم وأكثرهم عبـــاده ومن ساداتهم فى نظر كثير من النقاد[٥] .

ومن الطبقة الثانية علقمة بن قيس[٦] سنة ٦٢ هـ ومسروق ابن الأصبغ[٧] سنة ٦٣ هـ ، وأبو سلمه بن عبد الرحمن[٨] وغيرهم .

---

(١) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٤ / ٣٦١ .

(٢) تدريب الراوى للسيوطى جـ ٢ / ٢٣٦ .

(٣) ترجمته فى الإصابة ٢ / ت ٥١٧٩ — التاريخ الكبير ٥ / ت ٧٩٠ — تهذيب التهذيب ٦ / ٢٢٠ .

(٤) سعد بن أبى وقاص وإسمه مالك بن أهيب تهذيب التهذيب ٣/ ٤٢٢ — طبقات ابن سعد ٣ / ١٣٧ — الكاشف ١ / ت ١٨١٤ .

(٥) تدريب الراوى للسيوطى جـ ٢ / ٢٣٦ .

(٦) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧ / ٢٣٧ — التاريخ الكبير ٧ / ت ١٧٧ الجرح والتعديل ٦ / ت ٢٢٥٨ — الكاشف ٢ / ت ٣٩٢٧

(٧) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٠ / ١٠٠ — التاريخ ٨ / ت ٢٠٦٥ الكاشف ٣ / ت ٥٤٨٤ — الجرح والتعديل ٨ / ت ١٨٢٠ .

(٨) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٢/ ١٠٣ — التقريب ت ٨١٧٧ .

ومن الطبقة الثالثة عامر بن شراحيل الشعبي[1] سنة ١٠٤ هـ وشريح ابن الحارث الكندي[2] سنة ٧٩ هـ الذي تولى قضاء الكوفة لعمر وظل زمناً غير قصير .

وهناك المخضرمون من التابعين وهم الذين عاشوا في الجاهلية صغاراً أو كباراً ، وأدركوه ﷺ ولم يروه بعد بعثته أو رأوه وهم كفار وأسلموا في حياته أو بعده ، ونعتوا بهذا الوصف لأنهم خضرموا أو قطعوا عن نظرائهم ممن ثبتت لهم الصحبة .

عهد التابعين :

ويبدأ عهد التابعين بعد موت آخر الصحابة .

وكان آخر من مات بالكوفة من الصحابة عبد الله بن أبي أوفى[3] سنة ٨٦ هـ ، وآخر من مات بالمدينة سهل بن سعد الساعدي[4] سنة ٩١ هـ ويقال ابن مائة سنة ، وآخر من مات منهم بالبصرة أنس بن مالك[5] سنة

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ / ٦٠ — تاريخ بغداد ١٢ / ٢٢٧ .
(٢) ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ / ٢٩٧ — التاريخ الكبير ٤ / ت ٢٦١١ الجرح والتعديل ٤ / ١١٤٥٨ — التقريب ت ٢٧٨٢ .
(٣) ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ / ١٣٥ — التاريخ الكبير ٥/ت ٤٠ الكاشف ٢ / ت ٢٦٦١ — الجرح والتعديل ٥ / ت ٥٥٢ .
(٤) ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٩ — التاريخ الكبير ٤ / ت ٢٠٩٢ — الجرح والتعديل ٤ / ت ٨٥٣ — الكاشف ١ / ت ٢١٩٥ .
(٥) ترجمته في تهذيب التهذيب ١ / ٣٤٢ — الإصابة ١ / ٧١ الإستيعاب ١ / ٧١ — طبقات ابن سعد ٧ / ١٢ — التاريخ الكبير ٢/٢٨

٩١ هـ ويقال ٩٣ هـ ، وآخر من مات منهم بالشام عبد الله بن بسر[1] سنة ٨٥ هـ ، ومن تأخر موته واثلة بن الأسقع[2] هلك بالشام وهو ابن ثمان وتسعين ، وسنة وفاة التابعين تتراوح بين الثمانين والمائة الأولى ، ولم يمت منهم قبل ذلك إلا قليل ، ومات من الصحابة في هذه الفترة كثير لأن صغار الصحابة ولدوا قبل موت الرسول ﷺ بحوالي عشر سنين وتكون سنة ثمانين هي بداية العصر الفعلي للتابعين باعتبار إنفرادهم في الوجود ، أما أوائلهم فظهروا قبل هذا التاريخ بكثير وعاشوا مع صغار الصحابة لأن الطبقات الأولى منهم إما مخضرمون مات النبي ﷺ وهم كبار ، وأما أبناء الصحابة الذين ولدوا عند موته أو بعدها بقليل كسعيد بن المسيب[3] المولود سنة خمس عشرة ، وعامر الشعبي المولود سنة تسع عشرة أو عشرين وأضرابهم ممن كان دورهم في الرواية مماثلا لدور صغار الصحابة فإذا ما أضفنا إليهم أمثال الحسن البصري[4] ومحمد بن سيرين[5] المولودين سنة ثلاث وثلاثين الذين يمكن أن يظهر تأثيرهما في الرواية

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ٥ / ١٤١ — التاريخ الكبير ٥/ت ٢٥ — الجرح والتعديل ٥ / ٥٤ — الكاشف ٢ / ت ٢٦٦٩ .
(٢) ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/ ٩٠ — الجرح والتعديل ٩/ت ٢٠٢ — تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٩٣ .
(٣) ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ / ٧٥ — التاريخ الكبير ٣ / ت ٨٧٢٤ الجرح والتعديل ٤ / ت ٢٨١ .
(٤) ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٣ — طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٦ التاريخ الكبير ٢ / ت ٢٥٠٣ .
(٥) ترجمته في تهذيب التهذيب ٩ / ١٨٤ — التاريخ الكبير ١ / ت ٥٥١ — الجرح والتعديل ٧ / ت ١٥١٨ .

حوالى الستين ويمكن القول على الأغلب أن دور عموم التابعين بدأ بعد منتصف القرن الأول بقليل ، وتضبط نهاية عصرهم وكحد أقصى بمعرفة تاريخ موت صغارهم ممن رأوا الصحابة ولم يأخذوا عنهم على بعض الآراء فى عدهم من التابعين ثم يضبط بموت الأغلبية منهم مثلما الأمر بالنسبة للصحابة وسبق القول أن آخرهم موتاً توفى سنة ١٨١ هـ ، والسنة التى تعتبر آخر عصرهم سنة خمسين ومائة .

مشروعية الكلام فى أحوال الرجال

قامت الأدلة من الكتاب والسنة على جواز الكلام فى أحوال الرجال من حيث تعديلهم وتجريحهم مما يعد بمثابة وضع اللبنة الأولى لتأسيس هذا العلم وتقرير مشروعيته ثم تكلم السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى ذلك صيانة للدين من التحريف والتبديل والتغيير ، وحفظاً للشريعة من أن تتسلل إليها الأحاديث الواهية والضعيفة التى تشوه تعاليمها وتذهب بقدرها وجلالها .

وسنسوق فيما يلى بعضاً من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية ثم نؤيدها ببعض أقوال أئمة السلف من المحدثين فى هـذا الشأن قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »(١) .

وقال ﷺ « نضر الله إمرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع »(٢) .

وروى من غير وجه عن النبى ﷺ « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »(٣) .

(١) سورة الحجرات آية رقم ٦

(٢) أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح كتاب العلم باب [٧] ما جاء فى الحث على تبليغ السماع جـ ٥/٣٣ ، ٣٤ — وأبو داود فى سننه كتاب العلم باب [١٠] فضل نشر العلم جـ ٤/٦٨ ، وابن ماجه فى المقدمة باب [١٨] من بلغ علما جـ ١/٨٤ ، ٨٥ — وأحمد فى المسند ١/٤٣٧

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب إثم من كذب على النبى ﷺ —

وقد عدل النبي ﷺ وجرح وسن لنا القول فى الناس على سبيل النصيحة فقد ذكر عنده عبد الله بن عمر[1] فقال فيه ﷺ إن عبد الله رجل صالح فهذا تعديل منه ، واستأذن عليه رجل فقال ﷺ إيذنوا له فبئس أخو العشيرة »[2] ، وهو تجريح منه أيضا ، ومن ذلك ما ذكرته فاطمة بنت قيس[3] لرسول الله ﷺ أنه خطبها معاوية إبن أبي سفيان[4] وأبو جهم عامر بن حذيفة[5] .

فقال ﷺ أما معاوية فرجل صعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فرجل

= ج ٣٤/١ — ومسلم فى المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ج ٩/١ — وأبو داود كتاب العلم باب التشديد فى الكذب على رسول الله ﷺ ج ٦٣/٤ — والترمذى فى كتاب العلم باب ما جاء فى تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ ج ٣٤/٥

(١) ترجمته فى أسد الغابة لإبن الأثير ٣٤٠/٣ ط دار الشعب بمصر سنة ١٣٩٠ والإصابة لإبن حجر ج ٣٣٨/١ ط نهضة مصر — القاهرة .

(٢) أخرجه البخارى كتاب الأدب باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفكشاً ج ١٥/٨ — ومسلم فى البر والصلة باب مدارة من يتقى فحشة حديث رقم ٢٥٩١ — والموطأ فى حسن الخلق حديث رقم ٧ ط دار الحديث بمصر — وأحمد فى المسند ٣٨/٦

(٣) ترجمتها فى تهذيب التهذيب ١٢ / ٣٩٣ — تهذيب الكمال ٢٦٤/٣٥

(٤) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٨٨/١٠ — الكاشف ٣/ت ٥٦١٧

(٥) ترجمته فى الإصابة ٢/ت ٤٣٦٦ — الكاشف ٢/ت ٢٥٤٧

لا يضع العصا عن عاتقه إنكحى[1] أسامه بن زيد[2] .

وهذا التعديل والتجريح منه ﷺ صار منهجاً تأسى به أصحابه ، وسار عليه بعدهم علماء الحديث فى عصور الرواية فقبلوا رواية الثقات العدول وتركوا المجروحين غير الأمناء وكان قصدهم صيانة الدين والسنة من عبث العابثين وبعد ذلك التشريع من خلال هذه النصوص السابقة تأسيساً أولياً لأصول هذا العلم فإن الكلام على أحوال الرجال وصفاتهم من حيث التعديل والتجريح جائز شرعاً بل هو مطلب ضروى لما فيه من تمييز ما يجب قبوله من السنن وما لا يجوز قبوله ، وليس ذلك من باب الغيبة كما ظن بعض من لا علم عندهم فإن ذكر عيب الرجل جائز بغير نزاع فما كان فيه مصلحة عامة للمسلمين أولى .

وروى عن بهز بن أسد[3] قال لو أن للرجل على الرجل عشرة دراهم ثم جحدها لم تستطع أخذها إلا بشاهدين عدلين فدين الله أحق أن يؤخذ فيه بالعدول ، وكذلك يجوز ذكر العيب إذا كان فيه مصلحة خاصة كمن يستشير فى نكاح أو معاملة ، وقد اشتشار النبي ﷺ علياً ، وأسامه فى فراق أهله لما قال أهل الإفك ما قالوا[4] ، ، ، ، ، ،

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الطلاق حديث رقم ١٤٨٠ ج ١١١٤/٢ — المسند ٤١٢/٦

(٢) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٤٢/٤ — تهذيب التهذيب ١٨٨/١

(٣) ترجمته فى طبقات ابن سعد ٢٩٨/٧ — الكاشف ١٦٤/١ — التاريخ الكبير ١٤٣/٢ — الجرح والتعديل ٤٣/١

(٤) أخرجه البخارى كتاب الشهادات ج ٢١٩/٣ - ومسلم فى كتاب التوبة ج ٢١٢٦/٤ - وأحمد فى المسند ١٩٤/٦ ، ١٩٥

ولهذا كان شعبه[1] يقول تعالوا نغتاب فى الله ساعة يعنى نذكر الجرح والتعديل .

وذكر ابن المبارك رجلا فقال يكذب فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن تغتاب قال اسكت إذا لم نبين كيف يعرف الحق من الباطل ؟

وكذا روى عن ابن عليه[2] أنه قال فى الجرح إن هذا أمانة ليس بغيبة .

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل[3] فإن جاء أبو تراب النخشبي[4] إلى أبى فجعل أبى يقول فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب يا شيخ لا تغتب العلماء قال فالتفت أبى إليه وقال ويحك هذا نصيحة ليس هذا بغيبة .

وقال أبو زرعة الدمشقى[5] سمعت أبا مسهر[6] أترى ذلك غيبة ؟ قال لا .

---

(١) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣٠٨/٤ - طبقات ابن سعد ٢٨٠/٧

(٢) طبقات ابن سعد ٣٢٥/٧ - تاريخ بغداد ٢٣٠/٦

(٣) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٤١/٥ - تاريخ بغداد ٢٨٥/٩ للخطيب

(٤) ترجمته فى طبقات الصوفية ١٤٦ ط دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م - الأعلام للزركلى جـ ٢٥/٥

(٥) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان أبو زرعة الدمشقى المتوفى سنة ٢٨١ هـ - تهذيب التهذيب ٢١٤/٦ - الجرح والتعديل ٥/ت ١٢٥٩

(٦) عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر المتوفى سنة ٢١٨ هـ - ترجمته =

وحذر أحمد بن حنبل[1] من السكوت على بيان عيب الراوى فقال له رجل إنه ليشتد على أن أقول فلان ضعيف فلان كذاب قال أحمد إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم .

وبعد هذه النصوص من الكتاب والسنة الدالة على مشروعية وإباحة الكلام فى أحوال الرجال تعديلا وتجريحاً أخذ الصحابة الكرام بهذا المنهج والمبدأ المقرر شرعا فطلبوا التثبت والتحرى فى قبول الأحاديث التى يتلقونها كما سوف يتبين لنا فيما يأتى .

= فى تهذيب التهذيب ٩٠/٦ - الكاشف ٢/ت ٣١١٩ - التاريخ الكبير ٦/ت ١٧٥١

(١) ترجمته فى تذكرة الحفاظ ٤٣١/٢ - تهذيب التهذيب ٦٦/١ - تاريخ بغداد ٤١٢/٤

دور الصحابة فى تأسيس هذا العلم

ساهم الصحابة الكرام بنصيب وافر فى النشأة الأولى لهذا العلم ووضع اللبنات والأسس المبدئيه له فبعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وبين للصحابه أمر دينهم الذى يستمد تعاليمه من مصدرين أساسين هما الكتاب والسنة سلكوا مسلكاً فريداً عظيماً فى قبـــول المرويات من أحاديث الرسول ﷺ أدى ذلك المسلك إلى تكوين المواد الأولى لبناء علم الرجال الذى سار بعد ذلك علماً له أسسه وقواعده ومؤلفاته العظيمه وعلماء راسخون فيه ، وقد تبين لنا من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية السابقه أن الكلام فى أحوال الرجال أمر مطلوب شرعاً وضرورة ملحة لصيانة الدين وسلامة نصوصه وتعاليمه من التبديل والتحريف والتغيير ومر بنا أن النبى ﷺ جرح وعدل فى أكثر من موضع ، وليس هذا من الغيبه فى شىء وجاء الصحابة الكرام فساروا على هـذا المنهج واستفادوا من هذه النصوص ، وأسسوا على أثرها قواعد فى تحرى الدقة والتثبت فى قبول المرويات والأحاديث التى يتلقونها من الأشخاص ونستطيع أن نوضح دور الصحابة فى تأسيس علم رجال الحديث من خلال النقاط التاليه :

١ — كان المتكلمون من الصحابة فى أحوال الرجال جرحاً وتعديلا قلة وهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعائشة أم المؤمنين وعبد الله ابن عباس وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت وعبد الله بن سلام رضى الله عنهم أجمعين ، وكلام الصحابة فى الرجال لم يصلنا منه إلا أمثلة نادرة ولو كثر لنقل الينا كما نقلت سائر أخبارهم ومروياتهم .

٢ — من العوامل التى أدت إلى تكوين هذا العلم تكويناً مبدئياً

أولياً أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتحرون الدقه والتثبت فى قبول الأحاديث من رواتها فما إطمئنوا إليه قبلوه وما لم يطمئنوا إليه طلبوا عليه شاهداً .

٣ — منها أيضا حرص الصحابة على الإقلال من رواية الحديث كراهية أن ينشغل الناس برواية الحديث وينصرفوا عن تلاوة القرآن ، وكذلك الخشية من أن يتسلل الخطأ المقصود وغير المقصود كرواية من كانت ذاكرته ضعيفه فينسى أو يغير بعض ما يرويه ولو أن أمر الرواية أخذ على سعة وفتحت الأبواب دونه لأدى ذلك إلى فتح المجال أمام المنافقين لجعل هذه السعه فى رواية الحـــديث مطية لأغراضهم الدنيئه ووسيلة لتحريف السنة وتغيير الكلم عن مواضعه والكذب على رسول الله ﷺ .

وسوف نعرض فيما يأتى نماذج من تثبت الصحابة فى قبول الأحاديث ونقد المرويات .

نماذج من تثبت الصحابة فى قبول المرويات

روى أن الخليفه الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما تولى الخلافه وقصده المتقاضون يطلبون حقوقهم وكان من بينهم جدة جاءت تطلب ميراثها فراجع مصدرى الحكم ولم يجد نصاً فقال لها « مالك فى كتاب الله شىء وما علمت لك فى سنة رسول الله ﷺ شيئاً » ولكنه وهو الخليفه الأول المسئول عن الأمه والقدوة لغيره ولم يكتف فى مراجعته السنة بما علمه فقط فليس هو الذى يحفظ لكل الأحاديث بل سأل الصحابه ليمكن الجدة من حقها وليحفظ الحديث المتضمن له فيكون مرجعاً لكل حاكم بعده فأمرها بالرجوع وسأل الصحابه فقام المغيره[1] بن شعبه فقال حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس[2] فلم يتسرع فى إنفاذ الحكم لها فإنما تثبت وإنتظر فالمغيرة صحابى عدل لا مطعن فى صدقه ولكن الأحاديث سوف تناقلها من بعد الصحابه غيرهم وفيهم العدل ومن دون ذلك وحتى ينتفى الشك فى صدق الخبر ينبغى التثبت فى قبول الروايه حفظاً للحديث مما قد يخالطه فلهذا قال أبو بكر للمغيرة « وهل معك غيرك فشهد محمد بن مسلمه[3] بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه فكان أول من إحتاط فى قبول الأخبار ولم يقتصر تحريه على قبول الحديث بل شمل أيضاً تحديثه

---

(١) ترجمة فى تهذيب التهذيب ١٠/٢٣٦ — الكاشف ٢/ت٥٦٨٧ الجرح والتعديل ٨/ت ١٠٠٥

(٢) الموطأ كتاب الفرائض ج ٢ / ٥١٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط الحلبى سنة ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م

(٣) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩/٣٩١ — التاريخ الكبير ١/ت١ — الجرح والتعديل ٨/ت ٣١٦

وجاء من بعده الخليفه الثانى عمر بن الخطاب فحذى حذو أبى بكر فى الحفاظ على السنه النبويه من خلال التثبت والإحتياط فى قبول مروياتها فعن أبى سعيد الخدرى[1] قال « كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى[2] كأنه مذعور فقال إستأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لى فرجعت وقال رسول الله ﷺ إذا إستأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع فقال والله لتقمن عليه بينه .

أما منكم أحد سمعه من النبى ﷺ ؛ فقال أبى[3] بن كعب والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبى ﷺ قال ذلك وليس هذا الموقف من عمر طعناً فى أبى موسى بل هو تأسيس لمنهج التثبت والتحرى فى قبول الروايات أنه قال لأبى موسى أما أنى لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ وروى عن مالك بن أوس قال سمعت عمر يقول لعبد الرحمن بن عوف وطلحه بن الزبير وسعد أنشدتكم بالله الذى تقوم السماء والأرض به أعلمتم أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركناه صدقه » قالوا اللهم نعم[4] .

أما على رضى الله عنه فقد إعتمد على التحرى فى قبول الروايات على أمرين :

---

(١) ترجمته فى أسد الغابه ٢/٢٨٩ — الاصابه ٢ / ٣٥ — تهذيب التهذيب ٣/٤٧٩ — سير أعلام النبلاء ٣/١٦٨

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٥/٣٢٠ — الاصابه ٣/ت ٤٨٩٨

(٣) ترجمته فى الاصابة ١/٢٦ الجرح والتعديل ٢/٢٩٠

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٢٥

الأول : إستحلافه من حدثه ، والثانى أمر الناس بمراعاة حال من يحدثهم .

قال فى الإستحلاف كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى فيه وإذا حدثنى غيره أستحلفه فإذا حلف لى صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر قال .... الحديث[1] .

وهذه الطريقه التى سلكها على بن أبى طالب رضى الله عنه ليست مع كل من يحدثه أومع أغلب الصحابه رضوان الله عليهم لاسيما أبو بكر الصديق لم يستحلفه وكبار الصحابه كذلك كانت هذه الطريقه فى السنوات الأخيره عند توليه الخلافة ووقوع الفتن وخشيته من الكذب على رسول الله ﷺ ومن الأمثله الظاهرة فى نقد المرويات ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها راجعت عمر فى حديث رواه عنه ابنه عبد الله مرفوعاً « إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه » قالت إنكم لتحدثونى من غير كاذبين ولا مكذبين ولكن السمع يخطىء وقالت ثانية سمع شيئاً أعنى عمر فلم يحفظه وقالت مرة يغفر الله لأبى عبد الرحمن أما أنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ .

وهكذا لم تتهم عائشه عمر بالكذب وإنما أرجعت أمر هذه الرواية إلى نسيانه وإستشهدت على ما ذهبت إليه بقول الله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » وليس بين الآية والحديث تناقض فقد ذهب جمهور العلماء وهو أن التعذيب خاص بمن وصى بالبكاء عليه والنياحه بعد موته فنفذت وصيته لأنه السبب فيما حصل أما من بكى عليه أهله من غير وصيه فيه

(١) مسند الإمام أحمد جـ ١/١٠

فلا يعذب لقول الله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[1] وهذا كما ذكرنا لون من ألوان النقد الذى يوجه لغرض التثبت من رواية الراوى لا بغرض التشكيك فى عدالته لأن الصحابه كلهم عدول بتعديل الله ورسوله لهم ، وما تقدم عرضه من هذه الأمثله إنما هو مجرد التثبت فى وصف بعضهم بالخطأ والنسيان أحياناً لا تجريحاً وهذا إن دل على شىء إنما يدل على أن الكذب ليس من صفاتهم ولم يتهم أحد منهم كما أن هذا النقد كان موجهاً إلى متن الحديث بسبب معارضته فى الظاهر بعض آيات من القرآن وأحاديث من السنن ثم إن أغلب الصحابه المتكلمين فى الرجال منهم عاشوا بعد الفتنه فيكون أكثر كلامهم منصباً على غير الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين[2] .

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٦٤ والحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٦/٢٣٢ — ٢٣٦

(٢) النووى بشرح مسلم جـ ٦/٢٢٩

توضيح حول نقد الصحابه لبعض المرويات

مما سبق يظهر لنا بحق وجلاء أن هذه المواقف السابقة من الصحابة الكرام فى التشدد والتثبت فى قبول المرويات يعد بمثابة الحروف الأولى التى يكتب بها علم رجال الحديث والجرح والتعديل ومبادىء أولية فى الإعراب عن حقيقة هذا العلم وغايته وهى الوصول إلى الحكم الشرعى والوقوف على صحة دليل هذا الحكم من ضعفه وما يقبل من المرويات وما يرد منها .

وهذه المواقف والصور التى مرت بنا لا تعنى أن الصحابة رضوان الله عليهم يرفضون قبول خبر الواحد كما قد توهم ذلك بعض الجهلة المغرضين بل أنهم قبلوه وعملوا به ويمكن أن يأخذ مثال لذلك وهو عمر بن الخطاب .

وقد رأيناه متشدداً فى تلقى الأحاديث ، فهناك أمثلة كثيرة اعتمد فيها على هذا النوع من الخبر منها أنه كان هو وكثير من الصحابة لا يتمكنون من الحضور لدى الرسول ﷺ يوميا لسماع الحديث فيتناوبون فيبلغ الحاضر منهم الغائب فقد كان عمر رضى الله عنه وجابر يتناوبان الحضور عند رسول الله ﷺ يوما بيوم فيخبر أحدهما الآخر بما نزل من الوحى[1] فى ذلك اليوم — ويفيد هذا أن قسما كبيرا من مرويات عمر مستندها الخبر الواحد لأنه تلقاه عن جاره وليس هناك مانع من أن يكون سمعها من صحابة آخرين بعد أو من الرسول

(١) فتح البارى لابن حجر ١/١٨٥

ﷺ لكنه مجرد إحتمال[1] .

كما أن كلام الصحابة فى أحوال الرجال وتثبتهم فى قبول بعض المرويات وتمحيصها لا يعنى الطعن فى عدالة بعضهم لأنها ثابتة مسلم بها فتعين القول أن فقدهم للحديث صدر خاصة ممن طالت أعمارهم وعاشوا بعد مقتل عثمان ، ففى تلك الفترة وما بعدها قد يكون وجد من سولت له نفسه الافتراء على رسول الله ﷺ من غيرهم مع ندرة ذلك .

ثم إن النقد والكلام على المرويات فى عهدهم كان موجهاً بالدرجة الأولى إلى متن الحديث دون رواته بسبب تعارضه فى الظاهر مع نصوص القرآن الكريم أو مع حديث آخر وهناك فرق بين النقد الذى يستند على الشك فى عدالة الراوى والنقد الذى يهدف إلى التثبت دون الطعن فى الناقل وهذه الصورة والأمثلة التى مرت بنا كانت من قبيل النقد الذى لا يهدف إلى التجريح بل هو نقد غايته الأولى والأخيرة هو التثبت والتأكد من رواية أحدهم للآخر مخافة النسيان أو الخطأ غير المتعمد .

ثم إن جيل الصحابة عاشوا بعد الفتنة فيكون أكثر كلامهم فى غير الصحابة .

وإضافة إلى ما سبق فإن هذا النقد كان قليلا جداً لم يصلنا منه إلا أمثلة نادرة ولو كثر كلامهم لتعددت أمثلته لا سيما وقد نقل ما وقع بين كبار الصحابة مما ذكرنا — فكيف لا ينقل ما وقع بين صغارهم أو بينهم وبين غيرهم ولا عجبا أن يقل كلامهم لقلة أسباب الجرح فى زمانهم

(٢) كتاب الجرح والتعديل بين المتساهلين والمتشددين ص ٥٠

فكان النقد قليلا منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعائشة[1] أم المؤمنين وعبد الله بن عباس[2] وأنس بن مالك وعباده[3] وعبد الله ابن سلام[4] رضى الله عنهم أجمعين .

(١) ترجمتها فى الاستيعاب لابن عبد البر ١٨٨١/٤ — أسد الغابة ١٨٨/٧ — الاصابة ٣٨/١٣

(٢) ترجمته فى الاصابة ٤٣٧/٢ — تهذيب التهذيب ١٩/٨

(٣) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٩٩/٥ — الجرح والتعديل ٥/ت٤٩٢

(٤) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢٢٢/٥ - الجرح والتعديل ٥/ت٢٨٨

ظروف نشأة هذا العلم فى عهد التابعين

لقد أحاطت بهذا العلم قبل نشأته ظروف ملابسات ينبغى من الأهمية بمكان أن نشير إليها لنقف على حقيقة الدواعى والأسباب التى أدت إلى التكوين الأولى لهذا العلم فى عهد التابعين .

فقد كان للحالة السياسية فى عهد الخلفاء الراشدين أثرها الكبير على السنة النبوية فقد حدث بعد أن تولى أبو بكر الصديق الخلافة أن ارتد بعض ضعفاء الإيمان عن الإسلام ومنع بعضهم الزيادة ولكن أبا بكر رضى الله عنه استطاع بحكمته وشجاعته وقوة إيمانه أن يتغلب عليهم وأن يخضعهم لحكم الإسلام ، ثم تولى عمر بن الخطاب الخلافة بعد سنتين وشهور بعد أن انتشر الإسلام على بلاد فارس والروم ولما ولى الأمر عمر استولى على الشام كلها وأخذ مصر وضم الجزيرة وامتدت الفتوحات شرقاً وغرباً ، وحينئذ احتاط عمر للسنة النبوية فأمر بحفظ القرآن وبالإقلال من رواية الحديث خشية التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى عثمان بن عفان بعد عشر سنين وشهور فمكث فى الخلافة إثنى عشر عاما — فرضى الجميع عنه أولا ثم انقسموا عليه أخيراً بحجة أنه يخص أقاربه بالحكم وكان نتيجة هذا الانقسام أن ذهب الخليفة ضحيته[1] .

ودب الخلاف والشقاق بين المسلمين ثم ولى الأمر على بن أبى طالب كرم الله وجهه وامتنع معاويه الذى كان يلى أمر الشام على المبايعه حتى

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبرى ج ٥/٩٨ ط دار القاموس .

يثأر على للخليفة المقتول، ووقعت حروب طاحنة بين على ومعاوية راح ضحيتها كثير من الصحابة وانتهى الأمر بمعركة صفين التى انتهت بالتحكيم. نقبله جماعة وهم الشيعه ورفضه آخرون وهم الخوارج وعدوا قبول التحكيم كفرا، واستمرت الحروب بين أنصار على وخصومه حتى استشهد رضى الله عنه فى شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة.

ثم بعد هذه السنة فتحت أبواب الفتن على مصراعيها تسلل من خلالها رجال قاموا بوضع الأحاديث فى السنة واستباحوا الكذب على صاحبها ﷺ وعزوا إليه ما لم يقله وأدخلوا فى السنة ما ليس منها وما هى بريئة منه واتخذها بعضهم وسيلة لخدمة أغراضه السياسية والانقسامات الداخلية التى كانت انقسامات مره اتخذت شكلا دينيا بلغ مداه فى قيام المذاهب والأحزاب، وحاول كل حزب من هؤلاء أن يبرهن على صحة مذهبه من الكتاب والسنة ولو أدى ذلك إلى أن يتكلف بعضهم افتراء الكذب والأقاويل على رسول الله ﷺ ليقوى حجته ويدفع الآخرين إلى الإذعان لمذهبه والدخول فيه وهذا بالنسبة للسنة كان أمراً سهل المنال أن يكذبوا على السنة بعد أن عز عليهم مثل ذلك فى كتاب الله لحفظه وتوافر المسلمين على روايته وتلاوته ومن هنا كان وضع الحديث واختلاط الصحيح منه بالموضوع أمراً استيقظ له كبار التابعين بدراسة أحوال الرواة والكشف عن حقيقتهم فإن أول معنى طرقه الوضاع فى الحديث هو فضائل الأشخاص وقاموا بوضع الأحاديث الكثيرة فى فضائل أئمتهم ورؤساء أحزابهم وأول من فعل ذلك الشيعة على إختلاف طوائفهم كما أقر بذلك أحد علمائهم قائلا اعلم أن أهل الكذب فى أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة وقد قابلهم جهلة أهل السنة بالوضع أيضاً[1].

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٧٥

أما الخوارج فإنهم استحلوا الكذب على رسول الله ﷺ تأييداً لمذاهبهم الباطلة وآرائهم الفاسدة.

وفى ذلك يقول أحد التابعين منهم إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً[1].

وكان فى مقابل ذلك ما عمد إليه الزنادقة الذين لم يستطيعوا الكيد للإسلام فمدوا إلى وضع الحديث لإفساد الدين على أهله فوضعوا آلافاً من الأحاديث فى العقائد والأخلاق والحلال والحرام كذلك كان من أسباب الوضع أن دخل فى الإسلام أجناس مختلفة وكان منهم المنافق الذى يكمن فى نفسه الحقد على الإسلام فحاول هؤلاء وأولئك بث سمومهم وتحقيق أطماعهم وإذا كان هذا هو موقف الشيعة والخوارج ومن سار على دربهم وشاركهم فى حقدهم وعدائهم للإسلام من الزنادقة وغيرهم فقد هيأ الله صفوة مختارة من الرعيل الأول من كبار التابعين المشهورين بالعلم والدين والعدالة واليقظة وعدد وفير من المخلصين الذين لم يصبهم دخان التشيع ولا غبار الخوارج ولا مرض الزندقة ولا خبث النفاق فردوا كل ما ورد عن هؤلاء وفضحوا نواياهم وحدوا من نشاطهم، وتمسكوا بصحيح السنن وبذلك حفظ الله السنة من عبث العابثين المارقين وتعريف الغالين المبطلين.

أما عصر التابعين فقد سبقته الخلافات السياسية والمذهبية التى مهدت لوقوع الكذب فيه غير أن الكذب فى عهد كبار التابعين أقل منه فى عهد صغارهم[2].

(١) الموضوعات لابن الجوزى ج ١ / ٣٨.
(٢) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٧٨.

دور التابعين فى نقد الروايات والكلام

فى أحوال الرجال

وبعد هذه الأحداث التى سردناها من ظروف وملابسات التى أحاطت بالأمة والفتن التى وقعت عقب مقتل عثمان وعلى قام التابعون بدورهم النشط فى الحفاظ على السنة النبوية والتفتيش عن أحوال رجالها فى هذه الفترة العصيبة فإنه بعد هـذا الجهد العظيم الذى بذله الصحابة الكرام فى حفظ السنة عن طريق جمعها والتثبت فى قبول روايتها .

جاء التابعون من بعدهم فسلكوا مسلك الصحابة واستنوا بسنتهم واهتدوا بهديهم فيما استنوا به من التيقظ فى الروايات جماعة من أهل المدينة من سادات التابعين منهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبى بكر[1] ، وسالم بن عبد الله بن عمر[2] ، وعلى بن الحسين بن على[3] ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه[4]

---

(١) ترجمته فى الجرح والتعديل جـ ٧ / ت ٦٩٢ — تهذيب التهذيب ٧ / ٢٩٠ .

(٢) ٣ / ٣٨٠ — طبقات ابن سعد ٥ / ١٩٥ — الجرح والتعديل ٤ / ت ٧٩٧ .

(٣) الجرح والتعديل ٦ / ت ٩٧٧ والكاشف ٢ / ت ٣٩٥٥ .

(٤) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧ / ٢٣ ، ٢٤ — الجرح والتعديل ٥ / ت ١٥١٧ .

وخارجه بن زيد ابن ثابت[1] ، وعروة بن الزبير بن العوام[2] ، وسليمان ابن يسار[3] فجدوا فى حفظ السنن والرحلة فى طلبها والتفتيش عنها والتفقه فيها ودعوة المسلمين ثم أخذوا عنهم العلم وتتبع الطرق وإنتقاء الرجال ورحل فى جمع السنن جماعة بعدهم منهم الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى[4] ، وهشام بن عروة[5] وسعد بن ابراهيم[6] فى جماعة معهم من أهل المدينة إلا أن أكثرهم تيقظاً وأوسعهم حفظاً وأدومهم رحله وأعلاهم همة الزهرى رحمه الله عليه[7] .

وكان مما أنتجته ثمار هـذا الاهتمام البالغ من التابعين بالسنة أن حظيت بالحفظ والصيانة من عبث العابثين وتأويل الجاهلين وإنتحال المبطلين وتبين ذلك فيما يأتى .

١ — إنهم أى التابعون سلكوا مسلك الصحابة فى التثبت من الروايات لكنهم لم ينهجوا منهج الصحابة من التقليل فى الرواية بل أكثروا فى رواية الحديث ونشره .

---

(١) ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ / ٢٢٣ — طبقات ابن سعد ٥ / ٥٦٢ .

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧ / ١٥٩ — التاريخ الكبير ٧ / ت ١٣٨ .

(٣) ترجمته فى الأعلام للزركلى جـ ٥ / ١٧ .

(٤) ترجمته فى تاريخ بغداد ١٤ / ١٣٥ — الأعلام ٩ / ١٨١ .

(٥) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١١ / ٤٨ - ٥١ .

(٦) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣ / ٤٠٣ — طبقات ابن سعد ٧ / ٣٤٣ .

(٧) المجروحين لابن حبان جـ ١ / ٣٨ ط دار الوعى حلب .

٢ — اهتم التابعون بالبحث عن الإسناد والتفتيش عن أحواله رواته ومعرفة مذاهبهم العقدية وذلك حينما وقعت الفتنة وقام الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الآثمة التى بناها على فكرة التشيع الغالى القائل بألوهية على رضى الله عنه وأخذ الدس على السنة يربو شيئاً فشيئاً نتيجة لذلك وقف التابعون من أهل البدع والأهواء وأصحاب النحل الباطلة موقف الناقد البصير يسألون عن أحوالهم حتى يتحققوا من صدقهم ويثقوا من أمانتهم ودينهم يشهد لذلك التابعى الجليل محمد بن سيرين أنه قال لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم .

وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ عنهم[1] ، وروى الدرامى عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا لاتجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم[2] .

وبفضل هذه الجهود ونتيجة هذا الاهتمام من التابعين حفظت السنة من أن تنالها أيدى المبتدعين ، وقال ابن سيرين أيضاً إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[3] .

٣ — وجه المتكلمون من سادة التابعين فى أحوال الرجال همهم فى هذه الآونة إلى تميز الرواى العدل من غيره ممن توجهت إليه الطعون بسبب انتمائه إلى المذاهب والفرق من الشيعة والخوارج والقدرية أو انتماءه إلى من عرفوا بالقصاصيين .

---

(١) مقدمة صحيح مسلم باب بيان الإسناد من الدين ج ١ / ١٥ .
(٢) سنن الدرامى باب اجتناب أهل البدع والأهواء والخصومة .
(٣) مقدمة صحيح مسلم ج ١ / ١٥ .

وتناول التابعون أيضاً فى كلامهم على أحوال الرجال الأشخاص الذين تسلل إليهم الطعن والجرح بسبب من أسبابه الظاهرة كالكذب والوضع وخيانة الأمانة وخفة الضبط وغيرها .

فأما المذاهب العقدية فإنها قد ظهرت بين المسلمين فى أواخر القرن الأول كما أسلفنا كانت من أخطر ماحدث عندهم لأنها عمقت النزاعات وشعبتها فاعتبر المحدثون من التابعين إن الإنتماء إليها من أكبر أسباب رد الرواية وتناولوا أصحابها بالنقد والتجريح وحرصاً منهم على منع أرائهم من الانتشار فلم يقتصروا على بيان أخطائهم فى الحديث وإنما أرادوا أن يعزلوهم وينفروا الناس منهم فذموا مذاهبهم وقاوموها ومواقف التابعين من أهل الأهواء تمثلت فى وصفهم بالضلال أو النهى عن مجالستهم لئلا تتسرب أفكارهم إلى مجالسيهم .

وفى حرمانهم من السماع منعاً لهم من الحديث الذى يمكنهم من جمع الناس حولهم وخوف من تحريفهم له تأيداً لارائهم ومنهم من نقدهم دون تعين لاحدى فرقهم ومن عين فرقا أو فرقة ومن جرح الداعى للفرقة بدل تسميتها .

وسوف نسوق أمثلة من كلام التابعين فى أحوال الرجال :

روى أن التابعى الجليل محمد بن سيرين كان يذم أهل البدع ويمنع الرواية عنهم ومثل ذلك فعل الشعبي فقال أحب صالح المؤمنين وصالح بنى هاشم ولا تكن شيعياً وارج مالم تعلم ولا تكن مرجئا وأعلم أن الحسنة من الله والسيئة من نفسك ولا تكن قدرياً وأحبب من رأيته يعمل بالخير وإن كان أخرما .

وتكلم سعيد بن جبير[1] فى طلق بن حبيب[2] المرجئى ونهى عن مجالسته[3] وكان إبراهيم النخعى[4] يمنع المرجئة من حضور مجلسه ويغضب عندما يكلمونه إعتبرهم أبغض إليه من أهل الكتاب ووصف مذهبهم بالبدعة فقال اياكم وأهل هـذا الرأى المحدث يعنى المرجئة أما القدرية الذين نفوا القدر فقد قال فيهم الحسن البصرى من كذب بالقدر فقد كفر ، أما زعيم القدرية معبد الجهنى إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل ، وقال طاوس بن كيسان[5] إحذروا معبداً واجتمع أحد القدرية بمحمد بن سيرين فسد أذنيه بإصبعيه وطالبه بالخروج وهدد بخروجه هو إن لم

---

(١) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٠/٤ — طبقات ابن سعد ٢٥٦/٦

(٢) ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣١/٥ — حلية الأولياء لأبى نعيم ٦٣/٣

(٣) الكفاية للخطيب البغدادى ص ٩١ — ٩٢ ط دار السعادة بمصر .

(٤) ترجمته فى تاريخ الإسلام للذهبى ٣٥٣/٣ ط دار السعادة بمصر سنة ١٣٦٨ هـ .

(٥) ترجمته فى حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٣/٤

يخرج هذا القدرى وحذر التابعون من الإستماع إلى القصاصين وهم رواة القصص المكذوبة وغيرها لغرض الوعظ أو الشهرة أو المنفعة إلا من كان يتحرى الدقة فى روايته .

وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى[1] لا تجالسوا القصاصين غير أبى الأحوص وإياكم وشقيقاً وكان شقيق يرى رأى الخوارج .

ومن أمثلة تجريح التابعين لبعض الرجال بسبب الكذب والوضع على رسول الله ﷺ ونحوه ما روى أن الشعبي تكلم فى الحارث الأعور فقال حدثنى الحارث الأعور وكان كذاباً وتكلم بعض التابعين فى أبى جعفر المدائنى[2] لأنه كان يضع أحاديث كلام حق وليست من أحايث النبى ﷺ وكان يرويها عن النبى ﷺ ، وذكر رجل عند أيوب السختيانى[3] فقال أيوب لم يكن مستقيم اللسان[4] ، وقال فى عبد الكريم أبو أمية أنه غير ثقة رغم أنه كان من أهل الفضل .

---

(١) ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٨٤/٥

(٢) ترجمته فى الجرح والتعديل ج ١٦٩/٢ ، ١٧٠

(٣) ترجمته فى صفوة الصفوة لإبن الجوزى ج ٢٩١/٣

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٠٧/١ ، ١٠٨

خاتمة

وهكذا تبين لنا من خلال صفحات هذا البحث كيف بدأت نشأة هذا العلم على يدى الصحابة والتابعين والمنهج الذى سلكوه فى ذلك مستمداً من الآيات القرآنيه والأحاديث النبوية ثم بعد ذلك عصر التابعين دخل علم رجال الحديث فى أطوار جديده من تأسيس القواعد الضابطه له وتأليف الكتب المختصه فيه ككتب تراجم الرجال التى جاء بعضها فى الثقات أو الضعفاء خاصة أو تراجم عامة جمعت أقوال علماء هذا الشأن فى أحوال الرجال جرحاً وتعديلا والله ولى التوفيق.